قصيدة

الغجر

محمد علي شمس الدين

(١) الكلب

يستريح الغجر الأندلسيّون في الريف قليلا
يأكلون العشب.والنارَ
ويمضون إلى الداخلِ
هذا كلبُهم يحمل وجه الملك المغلوب
يستنبحه الرعيانُ، لا ينبح
يستوقفه العرب اللاهونَ
لا يعرفُهم إلا قليلا
ويناديني فأمضي
حاملاً في الكفّ هذا الودَع السحريَّ
مفتوناً. . .
ولا أساله.

(٢) الذئب

وبماذا يقدر الليلةَ أن يحلم هذا العاشق المفردُ
في بريّة الشام وحيدا؟
وبماذا يقدر الليلةَ أن يحلم ذئبُ الفلوات؟
إنه ينبح من سبعة أيامٍ وحيدا
إنه ينبح في بريّة الشام ولا ينهره لصٌّ جميل
أيها اللصّ - حبيبي
أيها المفرد في التاريخ ما زلت وحيدا
أيها الذئب الرماديّ الجميل.

(٣) بماذا يستطيع أن يحلم:

لم يكن نائمًا
كان مثل الحصى في سرير المياه
هادئاً
وعميقاً.
قلت قبل الدخول إلى بابه المشرقيّ
أخوض إليه الوحولَ القديمة
وقد أزهرتْ
أضمّ إلى شفتي زهرةً غامضة
وأطرحها عند أقدامه.

*　*

إيه بدْر المغنّين
ماذا أسمّيك؟
أنا ديك جوهرة الموت
وأسجن فيك الجبال
وأسجن فيك عروق الذهب
وأعلم أنك حر كطفلٍ أو النار
بدر المغنينَ
ما لأحلامنا كالمصابيح يطفئها الحارس البلديّ
ويترك ما يترك البحر من وشل الموجِ
فوق الرمال
علفاً للكلاب الشريده؟

*　*

قلت قبل الدخول إلى بابه المشرقيّ:
سأعرف سّر الذي قال:
«عرّيت جرحي. . .»
وفاجأتُه:
لم يكن نائمًا
كان مستلقياً تحت رمّانةٍ
جذعها في الخليج
وأغصانها في دمي
ثم فاجأتُه. . .
لم يكن نائمًا
كان مستلقياً تحت أغلاله
ويقرأ شعراً
ولا يعرف العابرون
سوى أنه　　　تقول.
رجل ناحلٌ
في مهبّ الجنونْ.

بيروت